



المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة

المرجع :

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والآداب العربي

تشظي الذات / الهوية في رواية تصريح بضياح لسمير قسيمي

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والآداب العربي
تخصص: الأدب العربي

إشراف الأستاذة:

- أسماء يحي

من اعداد الطلبة :

- بوقرية رضوان

- بومكيك مصطفى

- مجاني إيهاب

السنة الجامعية : 2018 - 2019



دعاء

اللهم إنا نسألك خير المسألة و خير الدعاء

و خير النجاح و خير العلم و خير الثواب.

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا و لا باليأس إذا
أخفقتنا . و ذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح .

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا و إذا أعطيتنا
تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا.

صلي اللهم على نبينا محمد و على آله و أصحابه و الأخيار

و سلم تسليما كثيرا.

ربنا تقبل منا دعاءنا هذا

"آمين".

شكر و عرفان

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد
الأولين والآخريين وأشرف الخلق أجمعين وعلى آله
وصحبه أجمعين وبعد

كل الشكر للأستاذة: **أسماء يحيى** لموافقته
بالإشراف على هذا البحث وما بدلته من جهد ووقت
وصبر، وعلى كل ما قدمته لنا من مساعدة وتوجيهات
قيمة.
كما لا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى كل من ساعدنا من
قريب أو بعيد
وأخيرا نسأل الله العلي القدير أن نكون قد وفقنا في
إعداد هذه المذكرة.

رضوان ، مصطفى ، إيهاجر

مقدمة عامة

مقدمة

تعد الرواية من أبرز الأشكال السردية التي ظهرت في الساحة الأدبية، فكانت الكتابة فيها أغزر وأكثر مما جعلها تطور الى مستوى أرقى، فتنوعت مضامينها وتطورت آلياتها السردية فنالت بذلك نصيبا وافرا من البحث والدراسة.

فقد عرفت الرواية الجزائرية منذ البدء، نقلة نوعية من حيث الكم والكيف والتنوع، فقد جرب الروائيون الجزائريون اساليب سردية متنوعة، نقلت الرواية الجزائرية من التسجيل العفوي لمعطيات الفعل الانساني، في ابعاده الاجتماعية، الى محاولة تجريب رواية جزائرية جديدة ذات رؤية فنية تعتمد اساليب سردية جديدة.

فلكل رواية بنية تأسست عليها، فهي تتكون من الزمان الذي يساهم في تسيير الاحداث او بيان ماضيها او حاضرها وكذلك بنية مكانية، وهي المكان او الإطار الذي تقع فيه هذه الاحداث.

وقد استقر اختيارنا على الرواية لتكون موضوعا للدراسة، مما سخر لها الروائي، من طاقته الفكرية والمعرفية، فقد كانت هذه الرواية مجالا خصبا بالنسبة لنا لكي نستثمر من خلالها مقولة الذات والهوية، وقد كانت لنا هذه الدوافع الذاتية اسباب موضوعية اخرى ساندناها وهي رغبتنا في تقديم دراسة تطبيقية تتمركز حول محددات الهوية والزمان والمكان في الرواية وهو ما يسمح بإبراز اشكال تمظهرها ورصد اهم علاقتها.

بالإضافة الى ذلك فاختيارنا للروائي سمير قسيبي في طريقة الكتابة المنتهية وتسليط الضوء على اول رواية له.

ولان دراستنا تحمل جانبا نظريا وآخر تطبيقيا، فقد كانت الاشكاليات التي يطرحها البحث متماشية ومن ابرز تلك الاشكاليات: ما هو مفهوم الذات الهوية في بعدها الفلسفي الحدائي وما بعد الحدائي؟ وكيف تجلت الهوية في النص السردية؟ وماهي محددات الهوية في الرواية؟ وكيف تمظهرت البنية الزمانية والمكانية عبر رواية تصريح بضياع؟ والى اي مدى ساهم كل منهما في العمل الروائي؟

و للإجابة على هذه التساؤلات اعتمدنا المنهج الوصفي، لدراسة محددات الهوية و البنية الزمانية والمكانية في رواية تصريح بضياع.

ولان البحث يحتاج الى خطة تحدد اتجاه ومعالم الدراسة فيه، فقد جاءت خطة البحث مكونة من فصلين وخاتمة لأهم النتائج.

فصل أول كان نظريا حاولنا فيه رصد اهم التعاريف والمفاهيم النظرية المتعلقة بكل من الذات / الهوية في الخطاب السردي، وفي البعد الفلسفي الحداثي وما بعد الحداثي، اما الفصل الثاني فكان مقارنة تطبيقية حيث تناولنا الحديث عن محددات الهوية وبنيتها الزمانية والمكانية في الرواية المدروسة.

وكل دراسة او بحث اعترضتنا صعوبات ومشاكل لعل اهمها:

_ قلة المراجع المتخصصة في الدراسات السردية الحديثة الى جانب ندرة المراجع التطبيقية التي تناولت هذه المدونة دراسة وتحليلا.

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على جملة من المراجع، منها عمر مهيبيل بعنوان من النسق الى الذات ومحمد مزيان بعنوان مسألة الذات في الفلسفة الحديثة وكذلك عبد العالي بوطيب بعنوان اشكالية الزمن في النص السردي بالإضافة الى ميخائيل ياخنتين بعنوان لأشكال الزمان والمكان في الرواية، اما بالنسبة للدراسات السابقة، وبما أن موضوع بحثنا حديث بحيث لم نجد له أي دراسات سابقة.

تمهيد:

لقد شكل مفهوم الهوية محور اهتمام وتفكير العديد من الفلاسفة، إذ نجدتها تشير إلى عدة معاني ومفاهيم، حيث اختلف الفلاسفة في تعريف مصطلح الهوية إذ تعرف في اللغة انها مشتقة من الفعل هو، هوة، والهوية تصغير هوة، وقيل الهوية بانها بعيدة المهواة.

والهوية مصدر صناعي من كلمة هو، للدلالة على ان الشيء هو هو، وليس غيره أو بأنه هو هو. لم يصدر شيء آخر، وهي الذات الثابتة من خلال تغيير احوالها مثل هوية الأنا

اما إصطلاحا وفق معجم لالاند في اللسان الفرنسي فإن الهوية تدل على الميزة الثابتة في الذات، اي علامة ما هو متماه، او هي ميزة فرد او كائن يمكن من هذا الوجه تشبيهه لفرد يقال عنه متماه او انه هو ذاته في مختلف فترات وجوده، " هوية انا" ¹ ويعرفها الجرجاني بقوله الهوية هي الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغياب المطلق. ²

وللهوية انواع منها الهوية العددية التي تطلق على الشيء من جهة ما هو واحد، ومن جهة كونه هو هو بالاضافة الى الهوية الشخصية التي تطلق على الشخص باعتباره، يبقى هو هو رغم ما قد يطرأ عليه من تغييرات خارجية اما الهوية الكيفية فهي صفة موضوعين من موضوعات الفكر، إذ كانا رغم اختلافهما في الزمان والمكان، متشابهين في كفيات واحدة والهوية المنطقية وهي علاقة التساوي بين شيئين اثنين، كالهوية الرياضية او المساواة الجدرية.

ومنه نستنتج بان الهوية لها دلالات وجودية تظهر، من خلال تفاعل الفرد مع الآخرين، وتأثير بعضهم ببعض ويحدث صراع بينها وبين الآخر، ولها ايضا دلالة نفسية تتجلى، في الحالات النفسية التي يعيشها الفرد وما يترتب عنها كما لها العديد من السلوكات.

¹ أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تر: خليل احمد خليل، ج2، عويدات للنشر، بيروت، (د.ط)، 2012، ص607.

² محمد الجرجاني، معجم التعريفات، دار الفضيلة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص216.

فصل أول:

الذات / الهوية بين الخطاب
الفلسفي والخطاب السردي

1_ الذات/ الهوية في الخطاب السردي:

بعد أن أدرك المفكرون العرب، أن الغرب استطاع في غفلة من الزمان العربي أن يحقق نهضة أدت إلى تفوقه علميا وتكنولوجيا، اجتماعيا وثقافيا وما يتبع ذلك من تفوق اقتصادي وسياسي، وما نتج عن هذا التفوق من هيمنة الغرب على مقدرات الشعوب الأخرى بما فيها العرب، طرح هؤلاء المفكرون رؤى ومشاريع رؤى على مدى قرابة من الزمن ومن هنا فقد مارس بختي بن عودة ما اسميه انا (الكتابة المرئية) وهي بتقدير اولي الكتابة التي ينطلق فيها شعاع الوعي من الذات الى البنية الطبيعية والعكس، اي ان الكتابة تكون بمثابة عملية اختراق مزدوجة للبنية وللمخيلة في آن واحد . فتحدث الكتابة بالمعنى المرئي وهي ليست الا الكتابة المؤدية الى المعرفة الدلالية، الارادية والواعية.¹

تشكل مسألة الهوية في الجزائر إشكالية قصوى ضمن فسيفساء المشهد الثقافي ككل إذ بالإضافة الى البعد التاريخي المرتبط بالمرحلة الكولونيالية والذي مازال فاعلا في المخيال الثقافي الجزائري... والغريب ان جيلا كاملا من الكتاب والادباء انخرط بشكل لا ارادي.

وان كان بعضهم يعتقد عكس ذلك في سيرورة الاقصاء والتوازي والمغالاة في أدلجة النقاش حول الهوية والتمادي في توظيف عناصرها ومكوناتها الأساسية (الدين ، اللغة الانتماء الحضارية في تنوعها وتعددتها بطريقة ميكيافيلية، هدفها النهائي السعي الى الغاء الآخر كشرط اولاني لإثبات الأنا).²

يحتشد الفضاء السردي بشخصيات تتخذ ادوارا متعددة مؤدية لوظيفتها وتكون جزءا من تحليل وبنية النصوص السردية تمثيلا مباشرة ينطق عن الراوي للإفصاح عن هوية الشخصيات الروائية. في الغالب ما تبادر الشخصية بالظهور في مداخل النص الروائي

¹ ينظر عمر مهيل، من النسق الى الذات، الدار العربية للعلوم-ناشرون، لبنان، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2007، ص79

² ينظر المرجع نفسه، ص ص 75، 76

بالوجود المنطقي وإن لم تذل بالضرورة على ثنائية الفطر والوعي، كمتلازمة لتعريف الشخصية في واقعها الطبيعي وحاجتها الى الوجود كخلفية تاريخية لتطور الشخصية في وقع الحياة ، أو في النصوص، ولا يعني بحال تقديم شخصية روائية غير مدركة أو مسطحة بالمفهوم النقدي لنموذج الشخصية الروائية، ولكن هناك دائما حالة شخصية متكاملة وهوية ذاتية تتخذ من فضاء السرد واجهة للتجلي ذات معاني مترادفة للشخصية أو علامات لفظية تذل على طور الشخصية في الذاكرة وظهور متعدد الأوجه كفرد في التاريخ أو شخصية ذات ملامح لا معيارية، فالشخصية الروائية هي ما يمنح النص بنيته، ويوسع من دائرة حضوره كنص ناطق عن إبداع الكاتب.

إذن فالهوية الشخصية الروائية هي شخصية موجودة بهويتها ضمن الزمن السردى وفضائه دون أن تفارق وحداتها الزمنية كغيرها من الشخصيات الروائية والاحداث المرتبطة بمدارات الزمن السردى في تصاعده الفاعل في بنية النص الروائي.¹

تشكل الهوية الذاتية في الرواية هوية شخصيتها الروائية على النص السردى دون أن تنزع عن روابطها القارة في خطابها الثقافى وتركيبها التاريخى والجغرافى. وتظل هوية الشخصيات الروائية تحمل علاماتها التي تشير إلى مركباتها العضوية كالجنسيات والأسماء والتاريخ واللغة والذاكرة وغيرها من الصفات التي تعرف بهويتها.

إن البحث في الهوية هو من منظور فلسفى؛ بحث في الوجود، في كينونة الإنسان والمجتمعات والعالم.. هذه الكينونة بتاريخها وذاكرتها وأقدارها وحاضرها والأشكال المحتملة

¹ ينظر ناصر السيد النور، الهوية في الفضاء السردى، كاتب ومترجم من السودان. www.alriwaya.net

لمصيرها قائمة في السرد، في الفنون السردية التي ابتكرها الإنسان منذ ازمان طويلة ليفهم موقعه في الوجود، ويزيح شيئاً من الغموض الذي يجلل هذا الوجود، وهو قائم فيه...¹

إن جذور العلاقة بين السرد والكيونة تمتد إلى العلاقة بين السرد والكون في طفولة الفكر البشري. وإذا كانت الكيونة بمعنى عام، تفيد (الانوجاد) الحضاري للإنسان في التاريخ، فإن هذا الانوجاد ذاته يرتد للرؤية التي صاغها الانسان للكون من حوله وهي رؤية تقوم على أنساق حكائية تمثل الإنسان فيها الكون، وترجمها تخيلياً في أساطيره وخرافاته منذ عصور سحيقة.

يصبح البحث عن الهوية معضلة وجودية حين تتحول الهوية إلى مصدر إعاقة للحياة حيث تطرح الهوية سؤال مركب يأخذ في البدء أبعاداً ثلاثة:²

_ هوية الذات الكاتبة في مواجهتها لنفسها وآخرها، والعالم.

_ هوية الخطاب السردى لوصفه متناً مثقلاً بالدلالات والمعاني.

_ هوية النص المكتوب بوصفه شكلاً فنياً مائزاً، أي ابداعاً يفرض نفسه بين نصوص أخرى لا تعد.

والأبعاد الثلاثة للهوية هذه منشبكة في علاقات إتصال مرآوية وتفاعلية، مولدة للدلالات فالرواية تحكي عن شخصيات تسعى لإثبات ذواتها في العالم... أن تقول للآخرين، من أنا وإلى م أرمي؟ فيفتح السرد على المغامرة الإنسانية، على تلك التجارب التي تتركب الإنسان وتعيد تركيبه في خضم حركة العالم وعلاقاته، ذلك أن الشخصية الروائية تخرج على قيم إنتمائها الموروث، رافضة التماثل مع أعضاء جماعتها، وباحثة عن الفرادة. فالصفة الغالبة

¹ ينظر سعد محمد رحيم، الذات والآخر في السرد: قراءة تحليلية لمعضلة الهوية في الرواية العراقية

<http://www.ahewar.org/m.asp2016/01/16>

² ينظر المرجع نفسه.

عليها هي التمرد ... إن الممثل والمتمائل لا يمكن أن يكون شخصية جذابة في رواية. ويقول سعد محمد رحيم « منذ البدء علينا أن نفترض أن الهوية تأسس مستمر، ولذا لا يمكن منحها حدودا صارمة أو مضمون جوهرانيا ... معضلة الهوية انها تتخطى نفسها دوما باتجاه افق لا يدرك كأنه السراب، فهي تحفز الاسئلة والشكوك... هذا لا يعني أن لا هوية ثمة... فقط نحن نتكلم عن شيء زلق حرباوي أحيانا، ولعوب.»

وإذن تتحدد تمثلات الهوية في:¹

_ ما الذي يريد أن يقوله الروائي عن نفسه خفية عبر السرد، وعبر ما يرويهِ الرواة؟

_ ما الذي يقوله الرواة عن أنفسهم، في خضم صراعاتهم وعلاقاتهم مع بعضهم بعضا؟

_ ما الرؤية التي تنطوي عليها الرواية ازاء الوجود والعالم؟

ها هنا لا نقرأ الرواية بعدها نصا أدبيا له شكله الأستطقي، بأنساق سردية متعينة، بقدر ما نقرأها خطابا ثقافيا مترعا بالدلالات التي تحيل إلى خارج النص المكتوب، والذي يرتبط بسياق إجتماعي _ تاريخي ... فلا نسعى إلى تعيين هوية النص الأدبية، فيهما في هذا المقام هو البحث عن تجليات الهوية بأبعادها الذاتية والوجودية في الرواية.²

تحدد نظرة الانسان إلى الطبيعة والإنسان والله والعلاقة بينهما، وأدى إلى إفتقار هذه الرؤى إلى جدر فلسفي، إلى بروز مشكلات في بنياتها، وكانت مشكلة التراث والمعاصرة أهمها لدى فقد حاول ابن عودة تفجير طاقته الابداعية انطلاقا من سؤال أولاني يغوص إلى أعمق

¹ سعد محمد رحيم، الذات والآخر في السرد: قراءة تحليلية لمعضلة الهوية في الرواية العراقية

<http://www.ahewar.org/masp?2016/01/16>

² ينظر المرجع نفسه.

أعماق الكينونة منطوقة: بما أنني أعيش وسط عالم تتعدم فيه الحدود وتضيق فيه المسافات، معرفتي لذاتي معرفة حقيقية مكتملة، لا يمكن ان تتأتى ما لم اعرف حقيقة الآخر أو على الأقل، ما لم احاول التساؤل حول حقيقته.¹

تظهر الوظيفة للذات الساردة للنصوص الحكائية في " نقل وقائع منته وتقدمها في قالب لغوي شفاهي او كتابي من قبل شخصية او مجموعة من الشخصيات محددة بعينها .

يستوجب حضور هيئة تليفيزية تحول عجز الحوادث في التعبير عن نفسها بنفسها، من جهة وتشبع بالتالي نهم المتلقي كطرف ضروري للفعل السردى في الإطلاع عليها من جهة اخرى.² وشخصية السارد اي الذات الساردة هذا الكائن الذي يمثل محور الرواية، اذ يمكن الا نسمع صوت المؤلف اطلاقا، ولا صوت الشخصيات، ولكن بدون سارد لا توجد رواية.

انه الشخصية التي بدونها سيبقى الخطاب السردى في حال احتمال؛ ولن يتحول لحقيقة، ما دمنا لا نستطيع تصوير حكاية بدون سارد. وبالمناسبة ينبغي ان لا نخط باي حال من الاحوال بينه وبين الكاتب... ولكنه دور مخلوق ومتبنى من طرف الكاتب. فهو شخصية متخلية او كائن من ورق شأنه في ذلك شأن باقي الشخصيات الروائية الاخرى، يتوسل بها المؤلف، وهو يؤسس عالمه الحكائي لتتوب في سرد المحكي، وتمير خطاب الاديولوجي وايضا ممارسته لعبة الإيهام بواقعية ما يروي وبجمالية ما يتقبل و يتلقى، واعادة انتاج ما يمكن انتاجه من عوالم تخيلية وسرود روائية تستحضر في اوقات ومناسبات معينة.³

"مادام هذا الخطاب كباقي انواع الخطابات الاخرى، في حاجة ايضا لمخاطب، يتلقاه ويستفيد منه : (كل كلام هو اولا حوار ، اي انه لا يمكن ان يصدر عن شخصية منفردة

¹ ينظر عمر مهيب، من النسق الى الذات، ص78

² ينظر عبد العالي بوطيب: مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الائتلاف والاختلاف، مجلة مكناسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس، المغرب، ع06، 1992، ص07.

³ ينظر المرجع نفسه ص08.

وكل كلام مسموع يفرض وجود شخصية متكلم ومخاطب وبدونه يفقد السرد معناه، ويتحول لهذيان لا مبرر له ، الشيء الذي دفع البعض للقول : فلو لا المتلقي لما كان هناك سرد وهو ما يفسر حرص الرواة ان يكون سردهم دائما استجابة وتلبية لدعوة صادرة عن المسرود له، ان لم نقل انه يتأسس عليه في بعض الاحيان، كما هو الشأن في حكاية _الف ليلة وليلة _ باعتباره(اي المسرود له) هيئة تلفظية تتبع مع الهيئة الاولى _السارد_ ولا تلازمها ملازمة الظل لصاحبه، لا تفارقها ما دام حديث الأنا، هو في العمق خطاب الأنت. ولو كان هذا الانت هو انا المتكلم ذاته، كما يحصل في المونولوجات مثلا(لكن مباشرة، وبمجرد ما يعلن المتكلم عن نفسه ويتسلم مقاليد اللغة، فإنه يغرس الآخر امامه، كيفما كانت درجة الحضور التي يمنحها لهذا الآخر، ان كل تلفظ هو، صراحة او ضمنا، خطابا يستوجب مخاطبا)¹

استنادا على ما قيل « يمكننا القول بأن اضافة الصبغة الحكائية على نص من النصوص عملة مشروطة اساسا بتوفره على العناصر الثلاثة الرئيسية الضرورية لكل خطاب، وهي السارد او المرسل، والمسرود له او المتلقي، و المتن الحكائي او الرسالة »²

ان السرد يخترق الذات، يحتلها ويعيد صياغتها... الذات بعد ذلك هي غيرها قبل ذلك... الذات الساردة في الحياة، هي الذات الساردة وقد أنسنت الطبيعة وأجرت عليها تحول، حتى وان كان طفيفا لا يكاد يرى او يحس و تلك هي الثقافة .. الذات الساردة هي الذات بعدما تتفتت. هنا نتكلم في الانثربولوجيا، ولم ندخل بعد في محفل الادب، ان الذات هي موضع التقاء جريان التاريخ ودفقات التخيل منظورا اليها من زاوية موضوعية _تاريخية.

¹ ينظر عبد العالي بوطيب: مفهوم الرئية السردية في الخطاب الروائي بين الانتلاف والاختلاف، ص09.

² المرجع نفسه ص10

وهي موضع التقاء تيار العقل والارادة المحرصة على الفعل منظورا اليها من زاوية ذاتية _ تاريخية. اي اننا لا نستطيع ان نفصل التاريخ أبداً عن كينونة الذات.¹

وعلى الرغم من أننا نعيش في عصر تعولم فيه كل شيء تقريبا، وأصبح التواصل بين البشر مع توافر التقنيات الحديثة ... فإن هذا لم يحل دون تعميق النزاعات الذاتية. ولا محل مثالي لاختبار هذه الحقيقة أكثر من ميدان الكتابة الروائية فالانفتاح المفرط على الخارج يحفز في الانسان الرغبة في العودة الى الذات والتعرف على مكنوناتها وخلجاتها العميقة، وصراعاتها الخفية، والاهم موقعها ومكانتها، ازاء الآخر.²

2_ الذات/الهوية في بعدها الفلسفي الحدائي وما بعد الحدائي:

« تتناول مسألة الذات فلسفياً هو مغامرة فكرية حقيقية وذلك بالنظر الى محورية هذا الموضوع في تاريخ الفكر الفلسفي ليس فقط في العصور الحديثة التي تحولت فيها الذات الى مبدأ ومركز فاعلية ومورد قيمة، بل عبر تاريخ الفلسفة كله حيث تدرجت دلالة الذات من قوام وعماد او جوهر الى مرتكز انطلاقاً من المعنى اليوناني الى المعنى اللاتيني الى الدلالة الحديثة في اللغات الاوروبية وانتهت بمصطلح الذات العربي »³

لقد عرف مفهوم الذات (الفاعلة) مساراً متميزاً في الفلسفة الحديثة إبتداءً من ديكارت الذي لم ينف عن التفكير صفة الفعل مروراً اولاً بـ "ليبنتز" الذي تصور الذاتية كفعل ونشاط وبـ "كنط" الذي ربط الذات بالزمان واعتبر التفكير نشاطاً تركيبياً فعالاً الى "نيتشه" الذي ماها الحياة بالقدرة وإرادة الفعل حيث بلغت معه الذاتية ذروة فعلها كإرادة اقتدار من حيث في

¹ ينظر سعد محمد رحيم، الذات والآخر في السرد: قراءة تحليلية لمعضلة الهوية في الرواية العراقية

<http://www.ahewar.org/m.asp?2016/01/16>

² ينظر المرجع نفسه

³ محمد مزيان تقديم محمد سبيلا، مسألة الذات في الفلسفة الحديثة، (د.ط)، (د.ت)، دار الأمان، الرباط، ص13.

منظور "هايدجر" هي الأساس الميتافيزيقي للتقنية، كل ذلك في مسار واتجاه جعل الذات أساسا وعمادا ومركزا ومبدأ فعل وقيمة عليا في العصور الحديثة وفق القراءة "الهيديجرية".¹

«لكن مفهوم الذات (الفاعلة) أو الفرد للتعبير السيسولوجي الذي ارتبط في الفلسفة الحديثة للاستقلالية الذاتية، والقدرة على الفعل قد تعرض لمساءلة عميقة في الفلسفة والعلوم الانسانية (الماركسية) التحليل النفسي _ اللسانيات _ السيسولوجيا البنوية _ التفكيكية _ فلسفات ما بعد الحداثة (اتجاه ابراز محدودية الفعل وإنشراطه بمحددات وحتميات لغوية ونفسية واجتماعية (عائلية _ سلطوية _ اقتصادية) ومعرفية عديدة مما شكك في دعاوي الاستقلالية النسبية والقدرة على الفعل دون ان يؤول بها الى المنحنى أو المنحى الصفري وهو ما عكسته مقولات "موت الانسان" و"النزعة اللانسانية" العملية والنظرية.² » ولهذا فإن مفهوم الذات يرتبط بالفلسفة الحديثة.

2_1_ التأسيس الفلسفي لميتافيزيقيا الذات:

يتعلق الأمر هنا بالعتبة التي أصبح مندها مفهوم الذات محددًا لآليات التفكير الفلسفي، بهذا المعنى يتحدث "هايدجر" عن عنصر الذاتية بوصفه عصرًا من عصور الكينونة مثلما يتحدث "كنط" عن النزعة الدوغمائية ليسم بذلك حالة التأسيس التي تستخلص مفهوم الذات من مجرد المفهوم؛ فالتأسيس الفلسفي للذات اتخذ في نظر "هايدجر" صيغة ميتافيزيقيا الذات مع ما يرافق ذلك من موضوعة للذات باعتبارها اكتفاء ذاتيا في صميم عموم الكائن حيث تقرر في شأن ماهيته ومصيره. هذا بقدر ما اتخذ ذلك التأسيس في نظر "كنط" صورة إرساء للذات دون أساس فعلي حيث ان الأساس الفطري الخالص للذات يظل بمحيد عن التأسيس الحقيقي بما هو تأسيس على ظاهرة العالم.³

¹ ينظر محمد مزيان تقديم محمد سبيلا، مسألة الذات في الفلسفة الحديثة، ص13.

² ينظر المرجع نفسه، ص13.

³ ينظر المرجع نفسه ص 21.

يجمع الرجلان على التأسيس الفلسفي للذات كان تأسيساً مختزلاً يعوزه ما يكفي من النقد والمراجعة. وإذا كان "كنط" قد عمد في نقله إلى بحث سداد المفهوم وعلاقته في المفاهيم الأخرى لدى فيلسوف أو آخر فإن "هايدجر" كان يعمل على مراجعة المفهوم بالنظر إلى تاريخه كاشفاً عن التحولات التي شابهته مع ما يرافق ذلك من مخاطر على الأرض والإنسان. ففي اللحظة التي كان فيها عمل "كنط" محكوماً بقدرية الحس العقلاني كان "هايدجر" تحت رحمة قدرية الحس التاريخي، غير أنه سواء في هاته الحالة أو تلك لم يمتنع على الفيلسوفين الإجماع بشأن ثغرات التأسيس الفلسفي للذات،¹ ومنه فإن التأسيس الفلسفي للذات يعتبر من المفاهيم الأخرى للفيلسوف "هايدجر".

2_2_ المعرفة والذات:

يمكننا الآن أن نتقدم خطوة أولى على درب الإجابة على السؤال: كيف تفكر الذات من حيث أنها قدرة على المعرفة؟

نقول أنها تفكر حيث تستنبط استناداً إلى الزمن بات شأناً متعدداً.

« النتيجة هي أن الذات في مفهومها الديكارتي لم ترق أبداً إلى مستوى التفكير، لم تفكر بتاتا مادام أنها لا تتحقق إلا على هامش الزمن وحياداً عنه؛ لذلك علق "دلوز" ناطقاً بلسان "كنط": أن ذات الكوجيطو الديكارتي لا تفكر بل أن كل ما في حوزتها هو فقط إمكانية التفكير وهي ماثلة بغيباء في صلب هذه الإمكانيات فيما يعوزها... هي الصورة الفارغة للزمن التي تدرج وتشكل الاختلاف في صميم الفكر، إذ انطلاقاً منها تعمل على التفكير باعتباره اختلافاً بين اللامحدود وفعل التحديد ».²

وتتضمن هذه الملاحظات كل النتائج الممكنة لعلاقة المعرفة في أفق الزمن والمعرفة بمحيد عن الزمن. فاللامحدود باعتباره الأنا العارفة لا يستقيم إلا من خلال فعل التحديد أي الزمن الذي يخرق الأنا ويباعدها عن نفسها.

¹ ينظر محمد مزيان تقديم محمد سبيلا، مسألة الذات ف بالفلسفة الحديثة، ص 21.

² المرجع نفسه ص 145.

وفي كل مرة تريد فيها وعي ذاتها باعتبارها ذاتا عارفة تجد نفسها تحت قبضة السيول الجارفة للزمن؛ ذلك ان المعرفة بالذات هي كأية معرفة متزامنة مترهنة بالخارج بالسلب المحايث لها. وما يعزز امرا كهذا هو الطابع الزمني للذات عند "كانط"¹.

2_2_1_جواهر الذات:

يرى تشارلز تايلور ان الطريق الى فهم الذات يقتضي التعبير عن ما بداخلنا وخارجنا، وذلك على اعتبار اننا مخلوقات لها عواطف واحاسيس واعماق داخلية، وعلينا اسقاط هذه الحالات التي نشعر بها اتجاه الاشياء الموجودة في العالم الخارجي وهذا الاسقاط يدفعنا الى الشعور بان لنا ذواتا، وهذا ما يتضح في قوله، "ان الكينونة ذاتا لا تتفصل عن الوجود في فضاء من المسائل الاخلاقية، لها علاقة بالهوية"².

« كما يؤكد على ان حديثه عن الجانبين الشعوريين: الداخلي والخارجي، حديث جديد وغريب لم يسبق له الحديث عنه مسبقا، سواء في ثقافات أو عبر ازمنا اخرى، لكنه يوضح كيف كان حديثه عن ذلك جديد ومختلف من خلال تتبعه اصل نشأة مصطلح الهوية حيث يحدد ملامح الذات او الهوية، وانها في نشأتها ترجع الى: »³

أ_ السيطرة الذاتية عند افلاطون:

يؤكد تايلور على لسان افلاطون ان بالفكر او العقل نتمكن من السيطرة على الذات، اي اخضاع الجزء السفلي للجزء العلوي، وبعبارة اخرى سيطرة العقل على الرغبات، وعن طريق هذا الاخضاع نصبح صالحين، وذلك بسيادة العقل وبالتالي تتوقف الرغبات عن السيطرة ويقدم لنا افلاطون اختلاف بين النظام الذي يحكمه العقل وعالم الرغبة، الذي يرى بانه عالم

1 ينظر محمد مزيان، تقديم محمد سبيبة، مسألة الذات في الفلسفة الحديثة، ص 145-146.

2 تشارلز تايلور، منابع الذات: تكون الهوية الحديثة، تر: حيدر حاج إسماعيل، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط01، 2014، ص ص 182-183.

3 المرجع نفسه، ص 89

تسوده الفوضى... بينما رجل الرغبات يتحلى بصفات الكذب والقلق، والانزعاج والشر، وبالتالي فان: «العقل هو وفي ذات الوقت قدرة على رؤية الأشياء بشكل صحيح وحالة رباطة الجأش، فان يكون الشخص عقليا معناه ان يكون سيدا لنفسه»¹.
ويؤكد تايلور على ان افلاطون يعتبر من أبرز الشخصيات في تاسيس الفكر الاخلاقي، وانه عليه ان يدخل على عنصر ثالث في النفس يتوسط الرغبة والعقل وهو في نظره يتجسد في الروح من خلال قوله " ان الروح بطبيعتها تحتاج الى نوع من النظام او تميل الى نظام، يكون العقل فيه هو الاعلى".²

ب_ الانسان الداخلي:

« لم يختلف اوغسطين الثاني عن افلاطون كثيرا، لان افلاطون ركز جل اهتمامه على الناحية الداخلية، في حين نجد ان اوغسطين جمع بين الجانب الداخلي والجانب الخارجي، حيث انه في فهمه للتعارض القائم بين الروح والجسد يعتمد في ذلك على التمييز الافلاطوني بين العالم المحسوس والعالم المعقول، وكلاهما يقر بأن على الروح تغيير وجهة انتباهها، لكن اوغسطين يعتبر انها تتوقف على ما نهتم به، ونحبه، وان الله هو النور الاعظم، ومنه يشيع النور ولذلك نجده يقول: "عظيم انت يا رب، وجدير انت في كل تسبيح، عظيمة هي قدرتك وحكمتك لاحد لها»³ ولهذا فكلاهما يتفق من خلال وجهة النظر للإنسان الداخلي والتعارض القائم بين روحه وجسده.

تشارلز تايلور، منابع الذات: تكون الهوية الحديثة، ص189. ¹

² ينظر المرجع نفسه ص 195

القديس اوغسطينوس، اعترافات، تر: الخوري يوحنا الحلو، دار المشرق، بيروت، ط4، 1991، ص7. ³

ج_ الهوية و الزمن:

إن هوية الأنا إنها هي هي، هذه الهوية الفارغة اذ لا شيء يحدث تابعة لمفهوم الزمن من حيث أنه "آن"، فالأنا تكون هي هي لأنها دائماً وابدأ في الآن بوصفه شرطاً لإمكان الحاضر بامتياز.¹

وليست الهوية بهذا المعنى غير مفهوم عام يستمدج عموماً الكائن في صيغة صورية جامعة لكنها مانعة للاختلاف. لقد اختزلت الميتافيزيقيا الهوية في المطابقة، فكان ان حقيقة الشيء هي تطابق الموضوع مع المحمول، ومقر هذا التطبيق هو المنطوق بدليل "الأنا افكر" بوصفها لايربط ضمن كل منطوق يستهدف الحقيقة باعتبارها يقينا، بهذا المعنى تكون "الأنا أفكر" بؤرة تجميع الهوية حيث التناقض احالة على التغيير والخطأ.²

ان الميتافيزيقا بمسلكها ذلك تختزل الاختلاف في التناقض والتناقض في الخطأ، وسندها في ذلك باعتبار مبدأ عدم التناقض حافظاً للهوية لوصفها تطابقاً وللعلة باعتبارها يقينا وللتعالى من حيث انه تاسيس بدالة الذات، لذلك اعتبر "هايدجر" ان شئئية الشيء تم تحديدها(مند ديكرت) على قاعدة ووفقاً لموجة مبدأ العقل الخالص... ان تماهي الهوية عند اريستو لا يحيل على أنا متطابقة بل يحيل على تطابق عقل كوني لم يتشكل بعد بوصفه ملكية ذاتية، لكن منذ "ديكرت" اصبحت "المعارف ثابتة وقارة وهي تتضمن ثبات الانا، فالذات العارفة هي دون علاقة بالعالم"... وينتهي "هايدجر" من ادراك هذه العلاقة الى النتيجة التالية: ليس وضع الانسان مركزاً للكون من تكريم الانسان في شيء. واذا كان لابد من استعادة كرامة الإنسان فانه يلزم اعادة النظر في العلاقة : الانسان_العالم، ولعل ذلك هو منطلق "هايدجر" بهدف المراجعة تهديم التصور الميتافيزيقي للتعالى. اعتبر الوجود في العالم بنية وجودية

¹ ينظر محمد مزيان تقديم محمد سبيلا ، مسألة الذات في الفلسفة الحديثة ، ص.245

² ينظر المرجع نفسه ص 245.

اصيلة محددة بوجود الانسان، وبوسع هذه الفرضية ان تنقل الانسان من مستوى وجوده باعتباره ذاتا الى مستوى فهمه لذاته على نحو أكثر اصالة، فهو لا يستقيم الا بتبين ان الذات والموضوع لا يتطابقان ابدا مع الدازين والعالم.¹ وعليه فإن الانسان لا يستقيم الا بفهمه لذاته ومستوى اعتباره لذاته.

¹ محمد مزيان تقديم محمد سبيلا ، مسألة الذات في الفلسفة الحديثة ص.ص 245_247

الفصل الثاني

1_ تشظي الهوية مكانيا وتجلياتها زمانيا:

من خلال تناولنا لمسألة الترتيب الزمني في رواية " تصريح بضياع" وجدنا بأن هذه الاخيرة لم تتوارد أحداثها وفق نسق زمني واضح، ذلك أن المفارقة الزمنية كان لها حضور خاص يلزم السرد، خاصة في بداية الرواية، ذلك أن الكاتب يحتاج أحيانا للخروج من زمن السرد للدخول فيه عن طريق السوابق واللاحق سننطلق في دراسة هذه المفارقات الزمنية مستهلين ذلك بتقنية الاسترجاع، ذلك الرجوع إلى الذكريات والماضي يعد امرا طبيعيا في الرواية، ذلك أن الزمن الاستتكري هو اختصار للماضي وإحيائه.

1_1 تشظي الهوية زمانيا:

1_1_1_ الهوية و زمن الاسترجاع:

يعتمد الروائي على الاسترجاع وهو استنكار للماضي القريب أو البعيد، فيرجعنا من خلاله إلى أحداث سابقة، ويحكي لنا مجددا، لأحداث والوقائع، التي ذكرت من قبل قصد تذكير القارئ ببعض الحوادث التي وقعت قبل بداية السرد. لم يكن الاسترجاع في هذه الرواية مجرد عملية زمنية يتم فيها فتح نوافذ الماضي، واستدعائه عبر الحاضر بل كان ايضا تعبيراً عن وعي الذات الساردة.¹ حفلت الرواية بمقاطع إستدراكية كثيرة نذكر منها ما جاء عن الراوي: « كانت هذه حياتي، محاولات لا تنتهي او ربما كانت كلها محاولة يائسة لتقرير غد آت، حتى جاء ذلك الغد، يوم خميس فيما أذكر، إذ كنت أواعد إسماعيل صديقي كل خميس لنمضيه سوية كيفما شاء، و

¹ عبد العالي بوطيب، مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الإنتلاف والإختلاف، مجلة مكنسة، كلية الأداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس المغرب. ص135

غالبا ما كنا نمضيه نتسكع في شوارع العاصمة نجولها شارعا شارعا على الاقدام وحين يكبحنا الاعياء ندخل احد المقاهي لنقتل ساعات من حياتنا في الكلام، مجرد كلام كان هذا ما نفعله او شيئا من هذا القبيل». ¹

فالسارد هنا يعود بالزمان الى الوراء حاملا ذكرياته وصداقته مع اسماعيل، و كيف كانوا يقضون أيامهم مع بعض، كانت حياتهم مجرد فراغ قاتل، يمضونه بين التسكع والمقاهي. وهناك إسترجاع بعيد المدى فتح لنا به السارد بوابة احدى اهم المراحل التي إجتازها في حياته اولا وهي مرحلة الطفولة التي عاش فيها اليتيم، وتعرف على مرارته وقسوة الحياة التي لم تترك لحلاوة الامومة من طعم في حياته «أذكر يوم رحيل أبي، كنت في الرابعة، فمنعت من حضور الجنازة، بقيت مع جدتي في مسكن خالتي لاكثر من شهر، وحين عدت وجدت جميع من تركتهم هناك: شقة من غرفتين، أخوتي، أمي جميعهم كان حاضرا إلا أبي، ولكنني بين الحين والحين كنت اتسلل ليلا من فراشي والجميع نيام، وأسير في خلسة حتى المطبخ دون أن أشعل النور، فيخيل إلي أنني أراه جالسا على حصيرته يرتل ويصلي، ولكن من غير أن يبكي، وما إن يراني تجحظ عيناه ويصرخ فيا: أمشي تروح ترقد، تماما مثلما عهدته، قوي حتى في مماته». ²

وقد يلجأ الراوي إلى إسترجاع، ليقدم معلومات عن ماضي الشخصيات، فمن خلال لإسترجاع تعرفنا على شخصية فوزي: «كان نسخة إجتماعية لأي جزائري محبط من جيلنا ولد وترعرع في جزائر الحقوق، وأمضى مراهقته في جزائر الموت، وها هو يعيش الآن في جزائر الواجبات، تزوج من فتاة قال انه أحبها من اول نظرة، ثم ما لبثا أن أنجبا فتاة

1 سمير قسيمي ، تصريح بضياح، ط1: الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009، ص.8

2 المرجع نفسه ص53.

إستطاع بطريقة ما أن يدخل صورتها معه، فكان النظر إليها أكثر ما يفعل طوال اليوم».¹

فالسارد هنا بين لنا ماضي شخصية فوزي الحزينة المليئة بالمآسي والاحزان وتجربته الاليمة التي عاشها مع زوجته بخيانتها له، وزجه في السجن بسبب عدم دفع النفقة وغايته من هذا الإسترجاع التمهيد لادخال هذه الشخصية الى واقع السرد، وإضاءة جوانبا خفية. وهناك إسترجاع آخر وذلك بعودته إلى ماضيه في السجن "أحيانا أحب أن أتصور أن ما عشته لم يكن إلا وهما، فبمجرد أن أتذكر كل تلك المآسي والأيام العشرين التي قضيتها في سجن الحراش، ينتابني شعور غريب، مزيج بين الرغبة في الإندثار والرغبة في التوقف».²

فهذا إسترجاع بين ما عاشه السارد من مآسي وتجربة السجن الأليمة والمفزعة. وكما نجد استرجاعا آخر « يوم رحلت بما عيشته أيقظتني في السادسة، صباحا والحقيقة أن رائحة الفطير المنبعثة من المطبخ كانت ستوقظني لو لم تفعل، كانت هذه عادتها كلما علمت أنني في فترة امتحانات، تستيقظ ساعة الفجر لتصلي ثم تصنع قسعة مطينة وتبدأ في العجن، تحضر القهوة والحليب وبعدها توقظني وقد أعدت كل شيء».³

لقد جاء هذا الاسترجاع ليذكرنا ببعض الاحداث التي وقعت قبل رحيل جدته "ما عيشة" فقد كانت بالنسبة إليه الأمر الأولي، تهتم به و تراعيه إلى أن جاء اليوم الذي رحلت فيه عن الحياة.

1 الرواية،ص124.

2 الرواية،ص101.

3 الرواية،ص45.

1_1_2_ الهوية وزمن الإستباق:

يظهر الاستباق عندما يعلن مسبقا عما سيحدث، وغالبا ما يستخدم الراوي في السيق الدالة على المستقبل لكونه يسرد أحداثا لم تقع بعد، ويعتبر الإستباق من التقنيات التي تحدث خلا في بناء الزمن، حيث يبني الروائي سردي وفق تقطعات زمنية تستبق الأحداث وتبشر بما سيحدث لاحقا.¹

وبما أن الإستباقات قليلة في رواية "تصريح بضياع" إذ ما قورنت بالاسترجاعات، لأن تقنية الإسترجاع تفيد النص الروائي أكثر مما يفيد الإستباق، فالاسترجاع يؤدي الى ربط حاضر الرواية بماضيها، أما الاستباق فهو يفقد الرواية شيئا من عنصر التشويق.

نعود إلى رواية "تصريح بضياع" نذكر بعض المقاطع الإستباقية الواردة في الرواية :

"وتصنف شقيقتي الكبرى وردية أنها سمعته يقول لن يموت إلا في الأربعين هذا ما أمهله الله."²

فقد ورد هذا الاستباق على لسان شقيقته تتبأ فيه موت أخيها وأنه سيفارق الحياة إلا في سن الأربعين.

ونجد إستباقا آخر لنبوءة العجوز "إن كانت النهاية حقيقية، فلما اجدها أمنحها امي، حتى تتوقف عن الايمان بنبوءة المرأة العجوز «واحد ظالم والآخر عالم، واحد أعمى ولآخر يرفدو الما».³

¹ ينظر عيد العالي بوطيب، إشكالية الزمن في النص السردي، مجلة فصول المصرية، ع.4 ص 135

² الرواية، ص57

³ الرواية، ص72

لقد كان هذا الاستباق لنبوءة المرأة العجوز التي تحققت وهو بمثابة تحفيز للقارئ وتشويقه لمتابعة القراءة ومن الاستباق أيضا ما ورد في شكل توقعات من خلال حوار السرد بينه وبين إسماعيل « ولكنني طلبت منك أن لا تخبرها إلا إذا طال مكوثي في السجن.

_ أعلم، ولكن الامر سيطول اكثر مما تتصور .¹

ومن الاستباق أيضا ما جاء على شكل حوار قصير بين البطل السارد واحمد الصوري:

« ربما بعد حين، حين تخرج من هنا وتكمل دراسة الماجستير، ستتحقق كل النبوءة

_ وكيف تظن انها ستتحقق أيضا .²

فهذا الاستباق يكشف لنا عن تحقيق نبوءة العجوز وان شخصية احمد الصوري يتوقع له مستقبلا واعداء باكمالها لدراسته.

1_2_1 تشظي الهوية مكانيا:

1_2_1_1 الاماكن المغلقة:

اثبت المكان منذ القديم دوره القوي في تكوين حياة البشر، وترتيب كيانهم وتثبيت هويتهم، وتحديد تصرفاتهم، لذلك فقد جسد المكان الحاضنة يعني « الموضوع الثابت، المحسوس القابل للإدراك، وينوع من حيث المساحة والحجم والشكل .³

¹ الرواية ص120.

² الرواية، ص161.

³ اوريدة عبود: المكان القصة القصيرة الجزائرية الثورية، دار الامل للطباعة والنشر والتوزيع، ص29

• السجن:

أن أبرز رموز السجن بإعتباره مكان للإقامة الجبرية والتأمل فيه، بوصفه عالما مفارقا لعالم الحرية خارج الاسوأ، قد شكل مادة خصبة للروائيين في التحليل وإصدار الانطباعات التي تفيدنا في فهم الوظيفة الدلالية التي ينهض بها السجين كفضاء روائي معد لإقامة الشخصيات، وهكذا يجري تجريد السجين من أبسط ممتلكاته الشخصية.

« ظل الشرطي يجرنني حتى بلغنا مدخل السجن، وهناك سلمني إلى الحارس وسلم الحارس وسلم الحارس ملفي بعد أن فك قيدي، ثم أدخلني هذا الأخير من الباب الصغير المجاور للبوابة الرئيسية ثم عرج بي يسارا إلى ردهة تملؤها المكاتب، ومنها إلى غرفة كتك الموجودة في محكمة سيدي أمحمد لكنها أكثر ضيقا وازدحاما».¹

على ان هذا المدخل ليس سوى تمهيدا للإجهاز على مقوماته الذاتية وصفاته الإنسانية التي تستعمل المراحل المتبقية وهي كثيرة، على افنائها تدريجيا، لأن من رموز السجن بإعتباره مكانا للإقامة الجبرية شديد الانغلاق وتكون المفاتيح هي اقفال الابواب والمنافذ لتحجب العالم الرحب وتكون الحد الفاصل فيما بين الخارج والداخل بين الحرية النسبية في باحة السجن والعزلة المطلقة في الزنزانة، ذلك لأن دلالة السجن، نفسها لصيقة بحركة الاغلاق

« بعد قرابة، الساعتين اخرجنا الحراس من الحجرة الصغيرة، وامرونا ان نسير في طابور من صفين، وبدأنا في السير بروية تحت الاوامر حتى بلغنا مكاتب سلمنا فيها حوائجنا من احزمة ووثائق وبطاقات هوية ونقود».²

1 الرواية، ص 79.

2 الرواية، ص 80.

وتتوج هذه السلسلة من الاجراءات الإدلالة التي تعقب الدخول مباشرة بتجريد نزيه من هويته الخاصة عن طريق انتزاع اسمه الشخصي واستبداله برقم يجعله في عداد الماكرات التي يأهل بها السجن « لم تمض نصف ساعة حتى نودي الي، فخرجت الى الردهة اين تلاقاني حارس في زي اخضر مائل للصفرة، واقتادني الى مكتب من مكاتب الردهة، فتم قياس قامتي ووزني، وأخذو بصماتي و تأكدو من خلو جسمي من اية ندبة او وشم، وسألني كما سئلت سابقا عن اسمي واسم امي ووالدي، الا ان هذه المرة منحوني رقما، قال الذي اعطاني اياه هذا اسمك الآن ». ¹

والتغييرات التي يفرضها السجن على سلوك نزلائه وعلى نمط حياتهم، حيث يخضعهم لقانونه الخاص، فعالم السجن يقوم على دعامتين: ²

القوة والحيلة او هما معا، ومن لا قوة له ولا حيلة عندها سيكون ملزما بأن يدفع العقوبة أضعافا مضاعفة كما يكون فضاء السجن مسرحا للقاء و التعارف للنزلاء بين بعضهم بمجرد ان انصرف الشاف كورفي قال فوزي يكلمني : انه يفعل ذلك مع كل محبوس جديد.

قلت بصوت خائر من المفيد ان يعرف الجدد المسؤولين عن القاعة.

بالطبع ... الخ.

إذا يصبح النزير مجرد رقم عددي تكون عملية إفناء الهوية الذاتية قد إتخذت مسارها الثابت واستقرت على مدارها الطبيعي، فان انتزاع الاسم الشخصي او الغائه ليس من دون دلالة بعيدة، انها رغبة عدوانية في نسق الذات الشخصية للتنزيل والانتقال به الى درك من الدونية واشد ايلاما من افتقاده لحرية نفسه.

¹ الرواية، ص ص 79-80.

² ميخائيل ياختين، لأشكال الزمان والمكان في الرواية، تر. يوسف خلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

ان الغاية التي تمكن وراء هذه الممارسات العقابية التي يخضع لها النزير من تجاهله للاسـم الشخصي واستبدال ملابسه ببـدلة سـجينة موحدة وانتزاع ممتلكاته الشخصية، انما هي العمل على تجريده من خصوصيته وتجاهل هويته بحيث يفقد كل عناصر لاختلاف والتفرد ويتحول الى مجرد نسخة مكررة تندمج ضمن مكونات الفضاء المغلق لعالم السجين.

• الزنـانة:

السجن ليس بفضاء انتقال وحركة، انما فضاء اقامة وثبات، فضلا على ذلك فيا الاقامة في السجن هي اقامة جبرية لا بد للنزير في تحديد مدتها او مكانها، ويتصف فضاء السجن بالضيق والمحدودية وهما صفتان لا تعرفهما اماكن الاقامة الاعتيادية كاليوت والمنازل لذلك كان من الطبيعي ان تنعكس محدودة المكان، في السجن على حركة النزير وتقلص من قدرته على الانتقال داخل فضاء محدود قبلها ضمن اسواره واسلاكه، وذلك لان المكان لا يكون سوى انعكاس اي نتيجة للتجربة الفردية او محاولة التأثير على العام وما لاحظه عند دخول الزنـانة « كان الجميع يفتشون حصيرة بنية كبيرة بجم ضاية الزنـانة تتبعث منها روائح مختلفة، اطيبيها رائحة العرق، وقد جعلوا احذيتهم تحتها يستندون عليها رؤوسهم»¹.

فالنزير في السجن يلجأ لمواجهة ضيق المكان، على الخديعة يحتال لكي يخرق قانون المحدودية الصارمة التي تطوق الفضاء السجني، لكنه لا يفوز بذلك الا بقدر قليل من الوهم سرعان ما يتبدد ويصير ادراج الرياح عندما توظفه حقيقة الجدران الصلبة التي تظل تحتضنه.

¹ الرواية، ص31.

« كانت القاعة بطول 20 مترا، ثقل او تزيد قليلا، تنتهي بحائط لا يزيد ارتفاعه بـمتر، في حين كانت ارضية القاعة من الاسمنت الخالص بعرض 6 امتار على الارجح يعلوها سقف استقر دون اعمدة على علو 8 امتار، اما مصدر القاعة من الهواء فكان نافذتين تقعان على جدران القاعة تميزها قضبان فولاذية تربط شاقولاي بين طرفيها احتضنتها شبكة حديدية سهلة التمزيق». ¹

الحدود المكانية، التي يفردھا السجن على نزلائه تكون غاية في الصرامة مما يجعله فضاء معاديا او ملزما يقتضي بوجود شخصية ما في مكان محدود وثابت ويثقلها بالواجبات والمحظورات.

فالزنزانة تكون مسرحا تتحقق فيه مختلف فصائل الاضطهاد و الالزام والمصادر، فهي تختزل جميع القيم والدلالات، التي ينهض عليها السجن كفضاء مغلق معد للإقامة الجبرية. ²

• المستشفى:

هو المكان الذي اقتيد اليه الاشخاص بعد القبض عليهم ليتم فحصهم هناك «حين دخلنا لم نجد في القاعة احد، رغم العدد الهائل من المنتظرين خارجا، والارجح ان الشرطي الذي سبقنا منذ حين كان قد امر ان تخلقى قاعة العلاج التي يتم فحصنا، وهو اجراء امان تعمل به الشرطة ويعلن به الاطباء وفي سرعة البرق تم فحصنا ثلاثتنا، حين كان الواحد منا يجلس على كرسي متحرك، فيقوم الطبيب بسؤاله عن صحته وتاريخ عائلته الصحي، فإذا فرغ منه يجلس يفعل معه مثل ما يفعل مع سابقه، انتهينا من الفحص بسرعة البرق». ³

¹ الرواية ص 82.

² ميخائيل ياخنتين، لاشكال الزمان والمكان في الرواية، تر، يوسف خلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

³ الرواية، ص 37.

• البيت العائلي:

مكان مغلق، يشغل حيزا هاما في حياة الانسان اذ انه غالبا ما يكون مصدر راحة و امن واسترجاع ذكريات واحلام، فمن الخطأ مثلا انظر الى البيت كركام من الجدران والاثاث يمكن تطويقه من الوصف الموضوعي والانتهاء من امره للتركيز على مظهره الخارجي واصفاه الملموسة مباشرة، لان هذه الرؤية ستنتهي على الأرجح الى الجهاز على الدلالة الكامنة فيه وتقرغه من كل محتوى، لذلك سنحاول التعمق في زوايا المكان في الرواية ليتبين قيمة المكان، البيت العائلي فنظرة الكاتب الى البيت قد تضيق وتتسع، فقد يهتم الكاتب بالتفاصيل حتى ولو كانت صغيرة لا تحضي الا ذهن الكاتب» لم تكد تمر سنتان حتى اكتشفت والدتي ان بوعلام اكبر اخوتي ادركته سن الثلاثين فقررت تزويجه، فاحتل مع زوجته غرفة، وبقيت امي وشقيقتي وجدتي، في غرفة، ابراهيم ومناد اختاروا المطبخ يقضيان فيه لياليهما، فضلت أن افترش ارض الرواق». ¹

فالمسكن إذ لا يأخذ معناه ودلالته الشاملة إلا بأدراج صورة عن الساكن الذي يقطنه أو إبراز مقدار الإنسجام أو التنافر الموجود بينهما والمنعكس على هيئة المكان نفسه وجميع مكوناته بل ان النسق الوصفي لا يفعل سوى ان يربط بين وصف الشخصيات المهملة، الدلالة والاماكن وهذا يتبين اكتشاف نوع التطابق والاندماج قبل نظيرهما، بين طبيعة البيت وشكله وبين نوعية الشخصيات التي تقيم فيه، وتعد الصلات بينهما مظهر يكون من الضروري فحصه قبل إقامة اي تفكير حوله، فالبيت ركننا في العالم يتيح للإنسان ان يحلم بهدوء فنجد شخصية البطل ضاعت بدون بيت كونه إنسانا كائننا إذ يعتبر البيت هو الفضاء الوحيد

¹ الرواية، ص46.

الذي يتصرف فيه البطل بحرية حيث يشكل البؤرة المكانية التي يمارس فيها الإنسان حرته من اجل تحقيق وجوده.¹

2_1_2_ الأماكن المفتوحة:

حيز مكان خارج لا تحده حدود ضيقة يشكل فضاء رحبا وغالبا ما يكون لونه طبيعة في الهواء الطلق.²

أي الأماكن التي تجتمع وتلتقي فيها أنواع مختلفة من البشر وتزخر بأشكال متنوعة وتتمثل عادة في الأماكن العامة كالجسور، الأسواق، الشوارع...

• الشوارع:

من الواضح أن الأحياء والشوارع تعتبر أماكن إلتقاء ومرور نموذجية، فهي التي ستشهد حركة الشخصيات وتشكل مسارا لرواحها عندما تغادر أماكن إقامتها أو عملها، وتمدنا دراسة هذه الفضاءات الإنتقالية المبنوثة هنا وهناك في الخطاب الروائي بمادة غزيرة من الصور والمفاهيم ستساعدنا على تحديد السمة أو السمات الأساسية التي تتصف بها تلك الفضاءات وبالتالي الإمساك بما هو جوهري فيها أي مجموع القيم والدلالات المتصلة بها « في ذلك اليوم من شهر اكتوبر تواعدنا صباحا في شارع ديدوش مراد، تغذينا سوية وجلسنا ساعة او اكثر نتجاذب اطراف الحديث في مقهى بميسوني كانت اول مرة اخرق فيها مبدأ من مبادئ

1 إبراهيم الفيومي، المكان ودلالاته، مجلة جامعة البعث، مجلة 19، 1997، 1ع.

2 وليدة عبود: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، ص51.

ذلك انني سبق وان قسمت على نفسي ان لا ادخل ميسوني عبر شارع ديدوش مراد او العكس»¹.

إذن فالشارع فضاء إعتيادي للحياة اليومية للبطل وذلك تمهيدا للبحث في تفصيلاته الدلالية فهو بطابع متحرر من جميع القيود يحمل هويته الخاصة، من دون ان يعبأ برياح التحدث المبالغت التي تهب عليه، فالشارع فضاء مكتظ بكل معنى الكلمة وهذه الحقيقة وان كانت بديهية ولا تحتاج الى فضاء خاص للتقطن لها، فهي منصوص عليها في المدونات الحضارية كما هي مشهودة في الواقع العياني وعندما ينقلها لنا النص ويجسدها في إشارته الى اكتظاظ الساحة بالاطفال فإنه لا يبقينا في حدود البديهي والمسلم به وإنما ينتقل بنا الى مستوى من الافصاح و الوضوح يجنبنا التأويل المغرض للدلالات المتصلة بهذا الفضاء.

• المقهى:

تقوم المقهى كمكان انتقال خصوصي، بتأطير لحظات العطالة والممارسة المشبوهة التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الإجتماعية، هناك دائما سبب ظاهري او خفي يقضي بوجود الشخصية ضمن مقهى ما، ويعد هو الآخر احد الامكنة الشعبية التي يقصدها الناس لمضية الوقت والترويح عن النفس حيث وظف المقهى في رواية تصريح بضياع ليكون مكان حديث البطل مع صديقه إسماعيل « ندخل المقاهي لنقتل ساعات من حياتنا ي الكلام، مجرد كلام. كان هذا ما نفعله او شيئا من هذا القبيل»².

1 الرواية،ص8.

2 الرواية،ص8.

وقد تحمل المقهى طابعا سلبيا فيما يعانیه البطل من ضياع وتهميش، ويتحول إلى مسرح للعديد من الممارسات المنحرفة سواء كانت قمار او تجارة او مخدرات، وتتكرر هذه الصور السلبية لفضاء المقهى في اكثر من رواة حتى توشكنا ان تصبح العصب الرئيسي الذي يحكم دلالاته ويلتحم بها وهي تندمج ببنية ذلك الفضاء وتجعل منه بؤرة للثرثرة واغتياب العالم «ربما يبدو الامر غريبا، ولكنني كنت اعتقد ان الجمع بين رجل ثوري كديدوش مراد وسفاح كفرنالد ميسونيني_ولو في المسير_ جريمة في حق الاول وانتصار لصالح الثاني، كنت مؤمنا بهذا دون ان ابحت حقيقة في اسم ميسونيني الذي سمي به الشارع، فقد قررت ان ميسونيني هذا لابد ان يكون السفاح فرنالذ ميسونيني، الذي لقبته صحافة بلاده بجلاد الجزائر». ¹

فهنا نجد البطل يتجاذب اطراف الحديث مع صديقه اسماعيل داخل المقهى حول قضية تسمية الشارع بميسوني والآخر ديدوش مراد لأنه يعتقد ان هذه التسمية بمثابة الجريمة وهذا ما كان يدور من حديث بين اسماعيل وبطل الرواية، هذا كله قبل ذلك الخميس الذي دخل فيه مع صديقه اسماعيل الى المحافظة السادسة للشرطة ديدوش مراد ليطلب تصريح بضياع بطاقة المكتبة التي كان قد اضاعها قبل يومين.

• ساحة الفسحة:

في أفق هذا القانون السجني المبطن غادر فترة الفسحة كواحة لصحراء لا حد لها، وسيصبح حلولها شبيها بحجر يرمي به في بركة اليومي الأنسة لأنها ستشكل إستثناء او خرقا لقاعدة سجنية صارمة، فالدقائق القليلة التي يقضيها النزير في ساحة الفسحة ستتحول الى متعة حقيقية تخلخل الرتبات اليومية التي يفرق فيها السجن لوصفه مكانا للإكراه الجسمي والنفسي

¹ الرواية، ص8.

وعزلا عن الممارسة الخلاقة في المجتمع. « الخروج الى الساحة، من الاجراءات المتبعة في كل السجون، ولكنها تختلف بحسب طبيعة المسجونين، حيث لا يسمح لنزلاء قسم الترانزيت بالفسحة الا مرة واحدة في اليوم، ويكون ذلك اما في الصباح واما في المساء بحسب الدور فإذا خرجوا صباحا يوم السبت، فإنهم يوم الاحد لا يخرجون الا مساء، وهكذا دواليك. الا يوم الجمعة فلا يخرجون من قاعاتهم. »¹

ومن المؤكد ان مكان الفسحة يقع داخل عالم السجن بحيث يضل خاضعا لا لزاماته ومحظوراته؟ ولكن ثمة تحول مهم يقضي بجعل فضاء الفسحة بمثابة النقيض الطبيعي لفضاء الزنزانة، فمكان الفسحة سيكون اكبر خزان لملاح الحرية المفقدة بالنسبة للنزيل ويمكن ان نفهم الاستثناء الذي تمثله فترة الفسحة في حياة النزيل، ونستنشق مقدار المتعة او المعاناة التي تولدها الفسحة لديه « دخلنا الساحة التي كانت مكتظة (محظورة) بنزلاء القاعة حيث كان نظام السجن يقتضي ان تضم كل ساحة نزلاء قاعتين، حتى يناسب عدد الساحات عدد القاعات، فلمحت بينهم عمي احمد الصوري يسير مع بعض الشباب دون ان يحدثهم او يحدثونه، وكان آخرون يفعلون مثلهم، كانوا يدورون حول الساحة دون توقف او ملل، في البداية استغربت من امرهم ولكنني فهمت مع مرور الايام، انها رياضة مشي اخترعها المسجونون حفاظا على بعض لياقتهم. »²

1 الرواية، ص113.

2 الرواية، ص115.

• مكان الزيارة:

لقد كشف لنا استقرار تنظيم المكان السجني حتى الآن عن وجود مراتب متباينة داخل فضاء السجن مقسمة بحسب انغلاقها وصرامة حدودها، وتقع الزنزانة في أسفلها، واما الفسحة وهي نقيضها الطبيعي، فستكون في قائمة الترتيب بفضل انفتاحها النسبي والصلات التي تتيح للنزيل عقدها مع القضاء الطبيعي المحيط به، لكن مكان الزيارة هو الذي من دون شك المركز الهام في تلك التراتبية لأنه سيشهد لقاء النزير بالفضاء الانساني مثلما في زواره وما يحملون له من اخبار وما يمدونه به من انباء عن العالم الآخر، وضمن هذه التراتبية العامة سيتخذ المزار سبيلا للتعبير عن دلالة الفضاء السجني المنفتح نسبيا عن العالم الخارجي، ومن ثمة سيكتسي اهمية بالغة لأنه سيكون مجالا لاتصال لتبادل الحديث واستقبال انباء من خارج السجن وهنا سيستعيد النزير بعض صفاته الانسانية والمفقودة وعلى رأسها امكانية الحوار مع الآخر، وهنا يكون النزير متعلق بفترة الزيارة اقوى من انتظاره لفترات الفسحة اليومية مما يدلنا على ان حاجته من المجال الانساني تفوق رغبته في التطلع الى المجال الطبيعي. « قال لي السجين العامل ان لدي زيارة، ثم سلمني ورقة عليها معلومات من الزائرين حملت هذه المرة اسم والدتي وزوجتي، وهي ورقة تسمح لحاملها بالتجوال خارجا مع بعض الحرية».¹

تدور احداث الرواية في حكاية المرأة العجوز المتسولة التي دقت باب دارهم، ذات يوم في عام 1954، وزفت لوالدة البطل نبوءة مفادها انها سترزق بتسعة اطفال، اربعة ذكور ووسطرت النبوءة مصير اربعتهم لقولها « واحد ظالم، والآخر عالم، واحد أعمى واحد يرفدو الما. » فمن خلال هذه النبوءة تقبع العائلة في حالة قلق دائم.

¹ الرواية، ص18.

فبدأت هنا حكاية البطل، عندما دخل مركز شرطة كافينياك، للتصريح بضياع بطاقة المكتبة، ليتبين له انه كان محل بحث، فيقبض عليه في جريمة لم يصرح عليها، ثم بدون تبين التهمة المدان بها ليجد نفسه في سجن الحراش ومن هنا بدأت رحلة معاناة ومآسي البطل وافراد عائلته، حيث توفيت اخته سناء في الشهر الخامس بحكم انها مريضة بالصفير وبعدها توفي ابوه، وما ان لبثوا عدة اشهر، حتى توفيت جدته، فقرر اخيه الاكبر بيع البيت وطرد عائلته الى الشارع، فلجأوا الى خالهم سيدي احمد بن يونس ببرج اخريس، حيث تم الاعتداء عليهم من طرف ابن عمته واصحابه، فانتهدت هذه الحادثة بقتل خاله واخته تاسعديت ومناد وشلل ابراهيم فشككت لهم هذه الحادثة حالة فزع وخوف ثم هربوا من العاصمة وهكذا كان مصير العائلة، ويعود البطل بقصته بان القضاء الذي جعله يدخل السجن، وهو المكان الذي قدر له بان يلتقي برجل جعله يتوقف عن ملاحقة نبوءة المرأة العجوز وتحقيق آخر الغازها، وكان يحس اتجاه ذلك الرجل بشعور غريب، لكن في لاحق الايام تكشف عن هذا الشعور بأنه ابوه دون ذكر اسمه، فخرج من السجن وعزم على الاستمرار والنظر الى المستقبل والمحافظة على اسماعيل وعفاف وزوجته، ويحلم ان ينام باكرا وتسمية ابنته سناء وهكذا تنتهي حكاية البطل وهويته في الرواية.

خاتمة

خاتمة:

من خلال محاولتنا لرصد اهم القضايا المتعلقة بموضوع بحثنا، تمكنا من كشف اهم العناصر التي تقوم عليها الرواية العربية فقد تلازمت البنية الزمانية والمكانية في عناصر السرد للعمل الروائي، كالزمان والمكان فقد درسنا في الرواية معضلة الذات الهوية تزامنا مع المكان والزمان فرواية تصريح بضياع كشفت لنا رجل داخل السجن يحلم بمستقبله ثم خرج منه حاملا ماضيه فقد قاده المشيئة لهذا الطريق لتدفق احداث لا تتوقف، كما كشفت عن زوايا متعددة ساهمت في تكوينه الداخلي.

ومن اهم النتائج التي توصلنا اليها في بحثنا هذا هي كمايلي:

+ ان رواية تصريح بضياع جمعت بين كل انواع الرواية الواقعية والاجتماعية والسيرة الذاتية ورواية المغامرات دون ان تتخطى المحركات السردية الأخرى.

+ يعد الزمن ركيزة اساسية في النص الروائي فبدون زمان لاوجود لنص روائي.

+ كما تعد رواية تصريح بضياع رواية تربط بين الزمان والمكان اي انها زمكانية بامتياز نتيجة التواصل بين عنصري الزمان والمكان.

+ كان الاستباق مجرد توقعات لما ستؤول اليه الاحداث في المستقبل حيث اعتمد الكاتب في نسيجه السردى على تقنية الاسترجاع، حيث تقوم الشخصية بالرجوع الى الوراء لسرد احداث مضت.

+ كما نجد الكاتب ينتقل من الماضي الى الحاضر حيث بدأت الرواية من لحظة الحاضر ثم امتدت عكسه.

+ نجد المكان في الرواية له خصائص واضحة بحيث تتحول الهوية في كل مكان في الرواية بحيث السارد يحلم بمستقبله فخرج حاملا ماضيه.

✚ نجد المكان من حيث الوصف قد جاء خال من كل وصف مادي بل كان حافلا بوصف معنوي يحمل الكثير من الدلالات تحدد لنا تحولات هوية السارد.

✚ الرواية نوعت بين الاماكن المفتوحة: الشوارع، ساحة الفسحة، مكان الزيارة. والاماكن المغلقة: كالسجن والزنازة والمستشفى وغيرها.

قائمة المراجع

قائمة المراجع

الكتب باللغة العربية

- (1) سمير قسيبي، تصريح بضياع، (ط.1): الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009.
- (2) عمر مهيبيل، من النسق إلى الذات، (ط.1): الدار العربية للعلوم_ناشرون، 2007.
- (3) محمد مزيان، تقديم محمد سبيلا، مسألة الذات في الفلسفة الحديثة، (د.ط.): دار الأمان، الرباط.
- (4) وليدة عبود، المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية.

الكتب المترجمة:

- (5) تشارلز تايلور، منابع الذات: تكون الهوية الحديثة، تر.، حيدر الحاج اسماعيل، دراسات الوحدة العربية، بيروت، (ط.)، 2014.
- (6) القديس اوغيسطينوس، اعترافات، تر. : الخوري يوحنا الحلو/دار المشرق، بيروت، (ط.4)، 1991.
- (7) ميخائيل ياختين، لأشكال الزمان والمكان في الرواية، تر. يوسف خلاق، وزارة الثقافة، دمشق، 1990.

المجلات:

- (8) إبراهيم القيومي، المكان ودلالاته، مجلة جامعة البعث، مجلة 19، ع.1997، 1.
- (9) عبد العالي بوطيب، مفهوم الرؤية السردية في الخطاب الروائي بين الإنتلاف والإختلاف، مجلة مكنسة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة مولاي إسماعيل، مكناس المغرب.

المواقع الإلكترونية:

- (10) سعد محمد رحيم، الذات والآخر في السرد، قراءة تحليلية لمعضلة الهوية في الرواية العراقية.
<http://www.ahewar.org/m.asp?2016/01/16>.
- (11) ناصر السيد النور، الهوية في الفضاء السردية، كاتب ومترجم من السودان.
www.alriwaya.net.

قائمة المحتويات

قائمة المحتويات

مقدمة

05..... تمهيد

فصل أول: الذات والهوية بين الخطاب الفلسفي والخطاب السردي

08..... 1_ الذات /الهوية في الخطاب السردي.....

14..... 2_ الذات /الهوية في بعدها الفلسفي الحداثي وما بعد الحداثي.....

15..... 1_2_ التأسيس الفلسفي لميتافيزيقيا الذات.....

16..... 2_2_ المعرفة والذات.....

17..... 1_2_2_ جوهر الذات.....

17..... أ- السيطرة الذاتية عند افلاطون.....

18..... ب- الانسان الداخلي.....

19..... ج_ الهوية والزمن.....

فصل ثاني: جانب تطبيقي

22..... 1_ تشظي الهوية مكانيا وتجلياتها زمانيا.....

22..... 1_1_ تشظي الهوية زمانيا.....

22..... 1_1_1_ الهوية وزمن الاسترجاع.....

25 2_1_1_ الهوية وزمن الاستباق.....

26.....	2_1_ تشظي الهوية مكانيا.....
26.....	1_2_1_ الاماكن المغلقة.....
27.....	• السجن.....
29.....	• الزنزانة.....
30.....	• المستشفى.....
30.....	• البيت العائلي.....
32.....	2_2_1_ الاماكن المفتوحة.....
32.....	• الشوارع.....
33.....	• المقهى.....
34	• ساحة الفسحة.....
36.....	• مكان الزيارة.....

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع